Dirasat: Human and Social Sciences, Volume 53, No. 8, 2026, 9783

Deanship of Scientific Research

Binā’ of the Subject's Tā’ (the First-Person Singular Pronoun Tā’) on the Fatḥah When Predicating the Past Tense Verb in the Sudanese Dialect: A Study in Modern Linguistics

Ahmad Abdelmajid Hamad Alqaisi *

Jordanian Writers Society, Amman, Jordan.

Received: 7/12/2024
Revised: 11/1/2025
Accepted: 11/2/2025
Published online: 1/3/2026

* *Corresponding author:*
qaisi.ahmad@yahoo.com

Citation: Alqaisi, A. A. H. (2026). Binā’ of the Subject’s Tā’ (the First-Person Singular Pronoun Tā’) on the Fatḥah When Predicating the Past Tense Verb in the Sudanese Dialect: A Study in Modern Linguistics. *Dirasat: Human and Social Sciences*, *53*(8), 9783. https://doi.org/10.35516/Hum.2026.9783

© 2026 DSR Publishers/ The University of Jordan.

This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY-NC) license https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

Abstract

Objectives: This research highlights the Sudanese dialect, responds to advocates of Sudaneseism, and records a linguistic phenomenon that is rare in Classical Arabic and its dialects but exists in Sudanese colloquial language—namely, the phenomenon of constructing the subject's Tā’ (the first-person singular pronoun Tā’) with fatḥah when attached to a past tense verb. This phenomenon has not been addressed by scholars before, as it has either vanished or evolved due to linguistic development over time.

Methods: The research employs the inductive, descriptive, and analytical approach, utilizing Optimality Theory (OT) and the "harmonic evaluation table" to determine the level of optimality of the phenomenon both grammatically and in usage.

Results: The study concluded that the phenomenon falls within a linguistically acceptable level according to modern linguistic analysis. It refutes the claim of Sudaneseism as an independent language and proposes logical and realistic solutions to address issues of identity and language in Sudan from an objective and neutral perspective, free from ethnic, sectarian, or racial biases.

Conclusion: As unusual as this phenomenon may seem, it is linguistically acceptable from the perspective of modern linguistics. Furthermore, it is not exclusive to Sudan in a way that supports the notion of Sudaneseism, as it also extends to some regions in Africa and Salalah in Oman.

Keywords: dialects, Sudanese, Sudaneseism, grammar, language, modern linguistics.

بناء تاء الفاعل للمتكلِّم المفرَد على الفتح عند إسناد الفعل الماضي إليه مجرَّدًا من هاء المفعول في اللَّهجة السودانيَّة: دراسة في ضَوء علم اللُّغة الحديث

أحمد عبد المجيد حمد القيسي*

رابطة الكُتّاب الأردنيين، الأردن، عمّان.

ملخّص

الأهداف: يهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على اللهجة السودانيَّة، والرد على دعاة السودانويّة بوصفها لغة، كما يهدف إلى تسجيل ظاهرةٍ لغويّةٍ نادرةٍ في الفصحى ولهجاتها، لكنّها موجودة في العامّيّة السودانيّة؛ ظاهرة بناء تاء الفاعل للمتكلِّم المفرَد على الفتح عند إسناد الفعل الماضي إليه مجرَّدًا من هاء المفعول؛ وهي ظاهرة لم تتناولها أقلام الدارسين قبل اندثارها أو تغيّرها بفعل الزمن والتطور اللغويّ.

المنهجيّة: سار البحث على المنهج الاستقرائي الوصفي التحليلي موظفًا نظريّة الأفضليّة اللغويّة "جدول التفاضل اللغويّ" للوقوف على مستوى أفضليّة الظاهرة معياريًّا واستعماليًّا.

النتائج: انتهت الدراسة إلى أنَّ الظاهرة تقع ضمن مستوى المقبول لغويًّا وفقًا لمخرجات علم اللغة الحديث، ودحضت دعوى السودانويّة لغةً مستقلة، واقترحت حلولًا منطقيّة وواقعيّة لمعالجة مشكلة الهويّة واللغة في السودان بشكل موضوعي ومنظار محايد لا تتجاذبه الإثنيات والطوائف والأعراق.

الخلاصة: هذه الظاهرة على غرابتها مقبولة لغويًّا من وجهة نظر علم اللغة الحديث، وهي بالتأكيد ليست سودانيّة بالمفهوم الذي يدعو إلى السودانويّة؛ بدليل امتدادها إلى بعض دول أفريقيا، وإلى صلالة في عُمان.

الكلمات الدالَّة: اللهجات، السودانيَّة، السودانويَّة، النَّحو، اللُّغة، علم اللُّغة الحديث.

مقدمة

عشت في السودان ومنطقة القرن الأفريقيّ ثلاث سنوات، وقد لفت انتباهي عدة ظواهر لغويّة تكاد تكون مشتركة في اللهجة العامّيّة السودانيّة في الشمال والوسط (الخرطوم، أم درمان، الخرطوم بحري، الجزيرة)؛ وهي المنطقة التي ذابت فيها الرطانات جميعها ، كما يُسمّيها السودانيّون، وهذه الرطانات ما هي إلا لغات مستقلّة؛ منها: اللغات النوبيّة المتعددة، واللغة البجاويّة، ولغة الفَلّاتَة، ولغة الزَغَاوة، واللغة التقريّة وغيرها؛ فكان تعدد اللغات عاملًا مهمًّا في سيادة اللغة العربيّة في السودان؛ بل في القرن الأفريقيّ بدافع الحاجة للتواصل؛ فليس بمقدور أحد أنْ يُلمَّ بثلاثمائة لغةٍ ليتواصل مع كل هذا الطيف الديمغرافي المختلف دون وجود لغةٍ مشتركة عامة يتحدث بها الجميع.

يُمثّل العرب القوميّة الأكثر في السودان مقارنةً بكل عرق آخر على حدة، ولغتهم هي الأكثر شيوعًا وانتشارًا، خاصة أنَّ معظم مواطني السودان مسلمون؛ فنشأت في السودان لهجة خليطة عاميّة نموذجيّة تسمى (عربي الخرطوم) سادت في شمال ووسط السودان الجغرافي، ولهجة موازية أخرى في جنوب السودان الجغرافي، سمّيت (عربي جوبا)، وثمة اختلافات كثيرة بينهما؛ لكنْ بعد انفصال الجنوب في دولة مستقلة لم يعد هناك حاجة في دولة جمهوريّة السودان (شمال السودان الجغرافيّ ووسطه) للتمييز بين عربي جوبا وعربي الخرطوم؛ فأصبحت تُعرف بالدارجة السودانيّة، أو العامّيّة السودانيّة، في حين أنَّ عربي جوبا جفّت منابعها، وهي آخذة بالانكماش لصالح اللغات المحلّيّة للقبائل الرئيسة في دولة جنوب السودان؛ وهو انكماش مخطط ومدروس سيفضي إلى موت اللغة العربيّة في الدولة الوليدة في الجنوب.

أمّا دولة السودان ففيها قدرٌ كبير مشترك من لغةٍ عامةٍ يتفاهم بها الجميع رغم السمات المميزة للهجات الخاصة؛ الإقليميّة والقبليّة، وذلك شبيه باللغة النموذجيّة المشتركة بين قبائل العرب والتي اتخذت من لهجة قريش إطارًا عامًّا لها، مع احتفاظ كل قبيلة أو إقليم بخصائصه اللغويّة المميزة (قاسم، 1989، ص304).

تنبع أهميّة الدراسة من أنَّها تفتحُ نافذةً يُطلُّ منها الباحثون على اللهجة السودانيّة، خُطّت بقلمِ محبٍّ للسودان وأهله، ولكنَّه محايد يصف تفاعلات البيئة اللغويّة في السودان والصراع على الهويّة واللغة بموضوعيّة.

شُغف الباحثُ باستقصاء الظواهر اللغويّةِ المختلفةِ في العامّيّة السودانيّة على المستويات اللغويّة المختلفة وتوثيقها ومنها عدد كبير تشترك فيه مع سائر العامّيّات؛ لكنْ استوقفتني ظواهر لغويّة تفردت بها العامّيّة السودانيّة تحتاج إلى الدراسة والتأصيل، وقد اقتصر هذا البحث لدراسة البيئة اللغويّة في السودان، وقضية اللغة والهوية منطلقًا لدراسة ظاهرة " بناء تاء الفاعل للمتكلّم المفرَد على الفتح عند إسناد الفعل الماضي إليه مجرَّدًا من هاء المفعول" على أمل أنْ أتمكن من دراسة ظواهر لهجيّة أخرى لاحقًا.

ولعلَّ أبرز الدراسات التي تناولت العامّيّة السودانيّة على الإطلاق؛ هي دراسات عون الشريف قاسم، وأهمّها (قاموس اللهجة العامّيّة في السودان)؛ وهو معجمٌ دلاليّ يقعُ في ألفٍ وثمانين صفحة؛ صدرت الطبعة الأولى منه عام 1972م؛ وقد رصد فيه كمًّا كبيرًا من الألفاظ العامّيّة السودانيّة وعرّفها وردّها إلى أصولها، عربيّة كانت أو من اللغات الأخرى كالأفريقيّة والتركيّة واللاتينيّة.

وقد تحدث عون الشريف قاسم في بداية القاموس عن سمات عربيّة السودان في تسع صفحات؛ ممهدًا بالحديث عن الحياة الاجتماعيّة في السودان وأثرها في التباين اللغويّ واللهجي؛ منتهيًا إلى سرد سريع دون دراسة لبعض سمات عربيّة السودان كما سماها؛ كأنْ يسرد الإبدال بين الذاء والضاد على الشكل التالي: (ذ - ض: ذبّان - ضبّان، ذنب -ضنب)؛ وكذلك في التراكيب: (فتح تاء الفاعل ما لم يتصل بضمير النصب المتصل بهاء الغائب؛ أنا كتبتَ وفعلتَ، لكن اشتريتُو وبعتُو) وهكذا دون تأصيل أو تفصيل.

وذهب عون الشريف قاسم مذهبًا غير موضوعي - متأثرًا بكونه سياسيًّا- بهدف إيجاد لغة سودانيّة على غرار اللغة السواحليّة وهي: "لغة هجين من العربيّة ولغات البانتو الأفريقيّة" (القوسي، 1437هـ، ص56). والقصد أنْ يدفع عن السودان تهمة العروبة في نظر الأغلبيّة ذات الأصول الأفريقيّة وإقناعهم بالهويّة القوميّة السودانيّة المتمايزة عن العروبة بالثقافة الأفريقيّة السائدة وباللغة السودانيّة المختلفة عن العربيّة وسنناقش هذا في طور حديثنا عن اللغة والهويّة، يقول عون الشريف قاسم: "نعثر على صيغ وألفاظ في لهجتنا مستنبطة من مصادر عربيّة قديمة ضاعت الآن من حياتنا، ولكننا احتفظنا بهذه الألفاظ المنتزعة منها، ومن ذلك لفظة (تحنفش)، ولم أجدها في المعاجم؛ أي انتفش من الغضب، وقد أخذناها من الحنفش؛ وهي أفعى عظيمة ضخمة الرأس رقيقة العنق خبيثة إذا غضبت انتفخ وريدها" (قاسم، 1989، ص281).

والحقيقة أنَّ ما توهمه الشريف قاسم يتنافى مع الواقع العلمي، فلو عاد إلى باب (حنفش) في لسان العرب لوجده يقول: "الحِنْفِيش: الحيّة العظيمة، وعمّ كُراع* به الحيّة، الأزهري: الحِنْفِشُ: حيّة عظيمة ضخمة الرأس رَقْشاءُ كَدْراءُ إذا حرَّبتها انتفخ وريدها" (ابن منظور، د ت، ج6، ص290)؛ فأيّ معاجم عاد إليها إذًا؟ وأيّ مصادر ضاعت؟! وكيف اهتدى إلى المعنى المأخوذ عن المصادر القديمة الضائعة؟ وهل من الصدفة أنْ يتطابق المعنى الذي ارتجله

* أبو الحسن، علي بن الحسن الهُنائي الدوسي الأزدي المصري (310هـ)؛ الملقب بكراع النمل، ومن كتبه: المنجَّد في اللغة، والمنضَّد، والمجرَّد، والمجهَّد، والمصحَّف، والمنظَّم، والأوزان، والمنتظم، والمنتخب، والمنمنم، والموشّى، والمعوّف، وأمثلة غريب اللغة، ولهجة في اللغة، والفريد، والمنصف.

السودانيّون بزعم الشريف قاسم مع المعنى المحفوظ في المعاجم العربيّة التي تعامى عنها؟

ومن الدرسات الأخرى التي تناولت الموضوع، كتاب "الإسلام والعربيّة في السودان دراسات في الحضارة واللغة" لعون الشريف قاسم أيضًا؛ صدر سنة 1989م؛ وهو سلسلة محاضرات مستقلة ومتناقضة أحيانًا، منها: "اللغة وشخصيّة الأمة، اللغة والثقافة، اللغة والبيئة، الشخصيّة اللغويّة للهجة العامّيّة السودانيّة، وسمات عربيّة السودان" والأخيرة محاضرة مستلة من مقدمة كتابه (قاموس اللهجة العامّيّة في السودان).

وكذلك دراسة بعنوان" من أصول اللهجات العربيّة في السودان، دراسة مقارنة في اللهجات العربيّة القديمة وآثارها في السودان" لعبد المجيد عابدين، صدرت عام 1989م، درسَتْ السمات العامة للهجات العربيّة القديمة، وبيان ما أثّر منها في لهجات السودان التي يتكلمها السودانيون في الوقت الحاضر، وهي دراسة قصيرة تقع في مائةٍ وست وعشرين صفحة يغلب عليها تتبع الظواهر اللغويّة المألوفة والمشتركة كاللهجات المنسوبة واللهجات غير المنسوبة وهي مشبعة دراسة أصلًا، وحشد الأمثلة عليها من العامّيّة السودانيّة ولهجات القبائل العربيّة في السودان؛ ثم يدعو عابدين إلى وضع معجم لغوي شامل لمفردات العامّيّة السودانيّة وكأنَّه لم يطّلع على المعجم الذي وضعه عون الشريف قاسم وسماه "قاموس اللهجة العامّيّة السودانيّة" وهو أشهر من نار على علم في السودان وأعيدت طباعته منذ عام 1972م سبع مرات.

ومن "المطبوعات" السودانيّة الحديثة، مطبوع بعنوان: "لهجتنا السودانيّة ما بين الأصالة والعامّيّة" لمحمد علي حريكة، الأستاذ المشارك في جامعة غرب كردوفان، والحقيقة أنَّ الدراسة جاءت لتأصيل الظواهر اللغويّة؛ وانتهى إلى أنَّ ظاهرة فتح تاء الفاعل في العامّيّة السودانيّة نوع من اللحن.

والحقيقة أنَّ بعض الدراسات تناولت اللغة في السودان لكنَّها دراسات ليست لغويّة تناولت قضايا اللغة ذاتها بل هي دراسات عامة تناولت السياسات اللغويّة وأثر اللغات في السودان على الوحدة الوطنيّة، ولعلَّ أبرز هذه الدراسات دراسة الأمين أبي منقة ويوسف أبي بكر الموسومة ب " أوضاع اللغة في السودان" وفيها ثلاثة فصول؛ عالج الأول الأوضاع اللغويّة في السودان، وتناول الثاني السياسات اللغويّة، واقتصر الثالث على اللغات النوبيّة، وخلت الدراسة من القضايا اللغويّة باستثناء ثلاث فقرات قصيرة أشار فيهنَّ إلى ظاهرة القَطْعَة: اقتطاع الكلام قبل تمامه مثل: أديتو الكتا، وسمعت الكلا، وظاهرة الاستنطاء وبعض حالات الإبدال في الصوامت (أبو منقة، وأبو بكر، 2006، ص26). كما أشار الباحثان إلى ندرة الدراسات التي تناولت اللغة بالعربيّة: " إنَّ المكتبة السودانيّة فقيرة جدًّا في مجال الدرسات اللغويّة الجادة" (أبو منقه، وأبو بكر، 2006، ص ك المقدمة).

أما دراسة الطيب عبد الباقي الطاهر وهي رسالة ماجستير في اللغة العربيّة بعنوان: أثر الحياة الاجتماعيّة في ألفاظ اللغة العربيّة دراسة تطبيقيّة على قاموس منهج العامّيّة في السودان" مقدمة إلى كليّة الدراسات العليا والبحث العلمي في جامعة الرباط الوطني، عام 2016 وقد اعتمدت اعتمادًا مباشرًا على قاموس اللهجة العامّيّة لعون الشريف قاسم، وتبرز أهميتها في المستوى الدلالي للغة.

وتختلف دراستنا هذه عن الدراسات السابقة جميعها في أنّها تتناول مسألة لسانيّة مهمّة لم تنلْ حظّها من عناية الباحثين والدّارسين؛ تلكم هي مسالة فتح تاء الفاعل مجرَّدًا من هاء المفعول في اللهجة السودانيّة دراسة في ضوء علم اللغة الحديث؛ كقولهم (أنا لعبْتَ، وأنا درسْتَ، وأنا كنْتَ) في (أنا لعبْتُ وأنا درسْتُ، وأنا كنْتُ)؛ وهي ظاهرة لغويّة غريبة وجديرة بالبحث.

أزمة الهويّة واللغة في السودان

يُعاني السودان من أزمةٍ معنويّةٍ خطيرةٍ؛ وهي أزمة الهويّة؛ إذ يعيش السودانيّون في الحقيقة حالة اغتراب مع الذات؛ ينكرونها دائمًا لكنْ يدركها كل من يُخالطهم ويعيش مع أيّ منهم في السودان؛ قائمة على تساؤلات كثيرة ليست مهمة من وجهة نظري: هل نحن عرب؟ هل نحن أفارقة؟ فإنْ كنّا أفارقة: هل نحن أحباش؟ هل نحن زنوج؟ هل نحن نوبيون؟ وقد عبّروا عن ذلك صراحة؛ فها هو عون الشريف قاسم وهو من أشهر علماء اللغة ورجال السياسة يقول: " إنَّ لغتنا حيث وجدت وليدة ظروف تاريخيّة واجتماعيّة متشابكة، وبالتالي فهي على قدر عظيم من التعقيد. وإذا كانت اللغة انعكاسًا صادقًا للحياة؛ فإنَّنا نخلص من ذلك إلى أنَّ حياتنا، وبالتالي شخصيتنا، على قدر من التعقيد كبير، بحيث لا يجدي فيها التعميم وإطلاق الأحكام. هل نحن عرب؟ هل نحن أفريقيون؟ هل نحن بين بين؟ (قاسم، 1989، ص284).

والأمر نفسه نجده عند ناهد محمد الحسن علي:" لوهلة يبدو لي جهلنا في قرارة أنفسنا بمن نحن؟! وأنَّنا إلى الآن لا نعي حقيقة من نحن؟ في قرارة أنفسنا؛ عربٌ، أم أفارقة؟ أم حالة وسطيّة فيزيائيّة بين العروبة والأفريقانيّة؟ أم هناك شخص رابع اسمه السوداني حاضر في كل التنوع الثقافي الموجود يُشكل العلاقة بين القبائل السودانيّة المختلفة التي تلتقي فيما بينها في خصائص سودانويّة تمنحها القوميّة وتميزها عن الآخرين؟" (علي، 2009، ص1).

وسمعت الدكتور والسفير السوداني السابق معاوية التوم الأمين يقول: "يعاني السودان أزمة هويّة منعته طيلة الخمسة والستين عامًا منذ الاستقلال من صياغة دستور للدولة" (التوم الأمين، 2021، محاضرة أكاديميّة).

إنَّ شغف بعض السودانيين بمشروع السودانويّة " القائم على خصوصيّة وتميّز الشخصيّة السودانيّة عن محيطها العربي والأفريقي، واعتباره إطارًا محددًا لهويّة الشخصيّة السودانيّة، ومرجعًا مفسرًا لمعظم سلوكياتها الراهنة، وهو التصور الذي يمكن أنْ تتوافق عليه كل مكونات الوطن" (الطالب، 2014، ص287) لن ينهي تكرار الأسئلة نفسها عن الهويّة السودانيّة بل يذكيها أكثر، وربما يقود إلى فقدان أجزاء جديدة من السودان بالأسلوب نفسه لانفصال الجنوب.

إنَّ أسئلة الهويّة هذه لم تَعُد ضروريّة في ظل تفشي ظاهرة العولمة بأبعادها كافة؛ مع العلم أنَّها أسئلة غير مهمة، وأمر الإجابة عليها متروك لعلم السلالات البشريّة الذي صنّف السِمات والشيفرات الوراثيّة للأعراق البشريّة (DNA)؛ كما أنَّ بقاء القضيّة حيّة تذكي النار تحت الرماد ليست عفويّة ولا طبيعيّة؛ فعوامل الوحدة والاندماج والانصهار معظمها كان متوفرًا وممكنًا قبل العولمة؛ وأول هذه العوامل؛ اللغة العربيّة والدين؛ فالعربيّة هي اللغة التي سادت على سائر اللغات (الرطانات) وأصبحت وسيلة التواصل الوحيدة بين أبناء الأعراق غير العربيّة فجبال النوبة مثلًا تضم ما يزيد على مائة لغة ولا يمكنهم التواصل فيما بينهم إلا باللسان العربي؛ إذًا ما العوامل المتبقية للاندماج؟

إنَّ التنمية الحقيقيّة الشاملة والإدارة الحصيفة لتوظيف هذا التنوع الديمغرافي هما العاملان المفقودان لحل أزمة الهويّة في السودان؛ فالسودانيّون ليسوا بحاجة إلى السودانويّة المطروحة شعارًا بمقدار حاجتهم إلى بنية تحتيّة أقلها شبكات طرق معبدة تصل إلى كل حِلّة (قرية)، والخدمات الرئيسيّة كالتعليم والصحة والماء النقي والكهرباء الدائمة؛ فإنْ تحققت التنمية ترتفع العوامل المعنويّة وتتحسن العوامل النفسيّة ويشعر الإنسان بأهميّة الحياة والعمل؛ فينتمي إلى الأرض التي توفر له حاجاته الأساسيّة وتساعده على تحقيق ذاته.

ففي العاصمة الخرطوم مثلًا؛ تخبو هذه النزعات وتكاد لا تدركها إلا في بؤر محدودة؛ والسبب أنَّ القادم إلى الخرطوم من الأطراف النائية يجد بعض عناصر تحقيق الذات المفقودة لديه وإنْ كانت ضئيلة جدًّا من وجهة نظري؛ فينصهر ويندمج وينشأ بطريقه تباعد بينه وبين المعتقدات الفكريّة لبيئته القديمة؛ ومنها تلك النزعة؛ ففي مجال عملي في البحث كنت ألجأ إلى بعض الزملاء من النوبة مثلًا فأسألهم عن الضمائر في اللغة النوبيّة؛ فأجده لا يعرفها ولا يعرف من لغته الأم إلا القليل من المفردات والسبب أنه مولود في الخرطوم ومتزوج منها ويعيش مع أولاده فيها وعندما يزور الطفل أجداده في الشمال لا يستطيع التواصل معهم إلا باللغة العربيّة.

اللهجة العامّيّة السودانيّة

إنَّ عامة السودانيين وبعض خاصتهم يخلطون بين اللغة واللهجة، فالعامة يسمون اللغات المختلفة كاللغات النوبيّة التي تزيد على المائة، ولغة البجا، والفلاتة، والفور وغيرها رَطانات؛ فإنْ سألتهم ما المقصود بالرَّطانات؟! يقولون: إنَّها لهجات سودانيّة محليّة، وقد يكون هذا مقبولًا من العامة مردودًا على من قال به من الخاصة؛ ومنهم عون الشريف قاسم نفسه عندما تحدث عن التأثر والتأثير بين العامّيّة السودانيّة وبين اللغات الأفريقيّة المختلفة والتركيّة واللغات اللاتينيّة إذ وصف قاصدًا اللهجة العامّيّة السودانيّة بأنَّها اللغة السودانيّة؛ ويصعب إطلاق أي اسم آخر عليها وهنا يقصد بالاسم الآخر؛ العربيّة إذ يقول: " إنَّ السمة الغالبة هي العربيّة، أو العربيّة المتأقلمة، ولكننا ورثنا بجانب ذلك قدرًا كبيرًا من آثار الحضارات غير العربيّة التي سبقت العرب، وامتزجت كل هذه التيارات والعناصر بحيث أصبح من الصعب إطلاق أي اسم آخر على النتاج النهائي غير أنَّه سوداني: وأعني بذلك أنَّ لغتنا وشخصيتنا هي وليدة هذه البيئة التي صَهرت في بوتقة الزمن كل التيارات الحضاريّة والإنسانيّة التي تعاقبت عليها؛ فأخرجت لنا هذه اللغة السودانيّة التي تعكس لنا الحياة السودانيّة والشخصيّة السودانيّة" (قاسم، 1989، ص281).

ولا تكمن المشكلة في الخلط بين مصطلحي اللهجة واللغة؛ حيث يجوز استخدام لفظ لغة في موضع لهجة؛ ولا أظنّه قصد باللغة السودانيّة؛ اللهجة السودانيّة كما هو الحال عند قدماء اللغويّين العرب؛ بل هو من دُعاة السودانويّة هدفه إيجاد لغة سودانيّة مستقلة عن العربيّة على غرار اللغة السواحليّة بدليل أنَّه تحدَّث عن تشكيل لغوي جديد بجانب اللهجات الخاصة، التي تُعرف بالرطانات إذ يقول: "إنَّ القبائل العربيّة النازحة قد وجدت نفسها في السودان في وضع تاريخي معقد استلزم منها التكيف الحضاري واللغويّ، فحدث تشكيل لغوي جديد؛ نجم عنه بجانب اللهجات الخاصة في مناطق السودان المختلفة، وضع لغوي مشترك في وسط البلاد، شبيه في بعض جوانبه بما حدث في جزيرة العرب، حين فرضت الظروف التاريخيّة والحضاريّة على العرب وضعًا مماثلًا في ماضيهم البعيد. وهذا الوضع المشترك يحمل من السمات ما يُكسبه شخصيّة مميزة هي انعكاس للبيئة وللتاريخ وللبشر" (قاسم، 1989، ص303).

وأستغرب هذا التوجه من لُغويّ عربيّ صريح يمنيّ الأصل؛ مشغوف كغيره من السياسيين العرب هنا في السودان بالقوميّة السودانيّة، أو مشروع السودانويّة؛ لإقناع باقي المكونات بذلك، لدرجة أنني سمعت بعض العلماء العرب والذين لا يُطعن بعروبتهم يتماهون مع الاتجاه العام ويتنكرون لها بدعوى أنَّ القبائل التي تدّعي أنَّها عربيّة هي إفريقيّة في الأصل، في حين أنني أرى العكس تمامًا فأغلب القبائل التي تعتقد نفسها إفريقيّة باستثناء القبائل الزنجيّة الصرفة هي قبائل من أصول سامية وعربيّة جنوبيّة، ولا ينفي عنهم عروبتهم العرقيّة تحدثهم بلغاتهم المحليّة كالجعزيّة والأمهريّة والتقريّة ولغة بني عامر "التقري"، وأبسط تفسير لحالتهم هذه تطابق حالهم مع حال القبائل العربيّة الجنوبيّة المحتفظة بلغاتها العربيّة الجنوبيّة مثل الجبّاليّة (الشحريّة) والظفاريّة في عُمان، والشِحريّة والمهريّة والسوقطريّة في اليمن، على الرغم من أنَّ بعضهم غير ناطق بالعربيّة الشماليّة السائدة ولا يفهمها وما زال يحتفظ بلغته العربيّة الجنوبيّة فإنَّه لا يحق لأحد أن ينكر عليه عروبته، بل إنَّ قبائل بني عامر - التي تقطن المناطق الحدوديّة السودانيّة الإريتريّة وخاصة ولايات كسلا والقضارف والبحر الأحمر (الأقليم الشرقي) إذ تمتد ساحليًّا من جنوب مصر شمالًا وحتى ميناء مصوع الإريتري جنوبًا وتمتد داخليًّا ضمن إقليم قاش بركة الإريتري، وقد سكنتُ عاصمة الإقليم مدينة بارنتو- عندما تتحدث برطانتها الأم (التقري) فإنَّها تتطابق مع العربية الفصحى فيما يخص الظاهرة المطروقة تمامًا؛ إذ يبنون كاف الفاعل على الضم ويبنون كاف المتكلم على الفتح مع مطل الحركات وكما يأتي:

الجدول (1): مقارنة تطابق الحالة الإعرابية لضمير الفاعل بين الفصحى ولغة بني عامر "التقري"

الحالة	المتكلم		المخاطب	
ضمير الفاعل (تاء الفاعل يقابلها كاف الفاعل في التقري)	أنا مَاي سَتَيكو (سَتَيكُ) (أنا شربتُ الماء)	ʼAnā māy satākū	إنتْ ماي سَتَيكا (أنت شربتَ الماء)	ʼint māy satākā
	أنا زيدْ ضَبَطْكو (ضَبَطْتُ) (أنا ضربتُ زيدًا)	ʼAnā zayd ḍabaṯkū	إنتْ زيدْ ضَبَطْكا (ضَبَطْتَ) (أنتَ ضربتَ زيدًا)	ʼint zayd ḍabaṯkā
الضمير اسم كان	أنا كاتبْ عَلْكو (علكُ) أنا كنتُ كاتبًا	ʼAnā kātib <alkū	إنتْ كاتبْ عَلْكَا (أنتَ كنتَ كاتبًا)	ʼint kātib <alkā
الضمير نائب فاعل	ضَبَطكو أنا ضُرِبْتُ	ḍabaṯkū	ضَبَطكا أنت ضُرِبْتَ	ḍabaṯkā

ولا غرابة إنْ سمعتَ بعض السودانيّين يرتجلون معانيَ جديدة للقوميّة والإثنيّة ليشتتوا الفكر عن المعنى الحقيقي؛ وهو وحدة الأصل أو الدم؛ فيقولون: الإثنيّة: هي القوميّة الثقافيّة؛ ويقصدون؛ انصهار كافة المكونات بالثقافة السودانيّة، والصحيح أنَّ الطابع العام السائد هنا في السودان هو الثقافة والفلكلور والعادات والتقاليد والقيم الأفريقيّة مع وجود محدود للقيم والعادات العربيّة، وليست حصرًا على السودان بل تتجاوزه إلى إريتريا وإثيوبيا؛ فمثلًا تجد القيم العربيّة مترسخة في عرب الرشايدة في السودان وإريتريا؛ وقد لا أبالغ إنْ قلت: إنَّ القهوة العربية التي تُقدّم في الفنجان الصيني التقليدي تُعدّ تقليدًا رائجًا في إثيوبيا وإريتريا، وتسمى الجَبَنَةْ.

وكان الأجدر بهم أنْ يُدّرسوا النشء بأنَّ العربيّة لسانٌ ووجدان - وليست الأصل والفصل ولا ابتداع السودانويّة- وأنْ ليس لعربي على أعجمي فضل إلا بالتقوى؛ فلو أدخلوا في مناهجهم :"أنَّ أوّلَ من نطق بالعربيّة توقيفًا من الله تعالى على غير تدريب ولا تدريج هو إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، أبو العرب، وهو أعجمي لأبوين أعجميين" (الجاحظ، 1998، 290/3 بتصرف) و" أنَّ الله عزَّ وجلَّ أفرد إسماعيل من العجم، وأخرجه بجميع معانيه إلى العرب" (الجاحظ، 1998، 295/3)؛ فلو نشأ الجيل على هذه القيم مع إحداث تنمية حقيقيّة لنهض السودان بدلاً من المحاولات الفاشلة لسلخ العامّيّة السودانيّة عن أصلها العربي من أجل السودنة المزعومة.

والحقيقة أنَّ السودانيّين الآن وعلى الرغم من الظروف القاهرة التي يعيشونها أحوج إلى صياغة قول الجاحظ كاستراتيجيّة لغويّة وفكريّة واجتماعيّة في السودان؛ يقول الجاحظ: " والمشاكلةُ من جهة الاتفاق في الطبيعة والعادة، ربّما كانت أبلغَ وأوغَلَ من المشاكلة من جهة الرّحِم. نعم حتى تراه أغلبَ عليه من أخيه لأمّه وأبيه. وربّما كان أشبهَ به خَلْقًا وخُلُقًا، وأدبًا ومذهبًا. فيجوز أنْ يكون الله تبارك وتعالى حينَ حوّلَ إسماعيلَ عربيًّا أنْ يكون كما حوّلَ طبعَ لسانه إلى لسانهم، وباعده عن لسان العجم، أنْ يكون أيضًا حوّلَ سائر غرائزه، وسلخَ سائرَ طبائعه" (الجاحظ، 1998، 292/3).

وعلى الرغم من تجاهل علماء اللغة هنا في السودان للفرق بين اللغة واللهجة لظروف خاصة تتعلق بالسودان فإنَّهم يدركون أنَّ "اللغة هي الصورة اللغويّة المثاليّة التي تَفرضُ نفسَها على جميع الأفراد في مجموعة واحدة" (فندريس، 1950، ص306)، بينما اللَّهجة هي طريقة معيّنة في الاستعمال اللغويّ توجد في بيئة خاصة من بيئات اللُّغة الواحدة (هلال، 1993، ص33)؛ بمعنى هي الصفات أو الخصائص التي تتميّز بها بيئة ما في طريقة أداء اللُّغة أو النطق (الحمد، 2005، ص91)؛ بدليل تحديد عون الشريف قاسم للعاميّة السودانيّة بدقة سواء أسماها لغة أم لهجة، إذ يقول: "فاللغة العامّيّة النيليّة المنتشرة في وسط السودان قد أصبحت بحكم اتصال القبائل العربيّة ببعضها والتقائها على ضفاف النيل للتجارة والتعلم وما إليه هي اللغة المشتركة" (قاسم، 1989، ص290) "التي تشكل في مجموعها أداة التفاهم المشتركة في شمال ووسط السودان، فإنَّنا نلحظ فيها تفاوتًا عظيم الأهميّة لما ينضوي تحته من حقائق بشريّة وسكانيّة تلقي بعض الضوء على طبيعة التكوين القبلي والحضاري، ومدى اختلاط العرب بغيرهم من سكان البلاد الأصليين" (قاسم، 1989، ص291).

إذًا العامّيّة السودانيّة: هي اللهجة المشتركة التي يتحدث بها السودانيّون في أغلب جمهوريّة السودان؛ خاصة الخرطوم، والخرطوم بحري، وأم درمان، والجزيرة، ومدني؛ علمًا بأنَّني سمعتها من أفواه أهالي جنوب دارفور في ولاية نيالا لمدة ستة شهور وسمعتها على ألسن أهالي شمال دارفور؛ ولاية الفاشر لمدة سبعة شهور أيضًا مع أنَّ معظم أهالي الفاشر ونيالا لهم رطانات خاصة يتحدثونها فيما بينهم؛ فبينما أنا جالس معهم في المسجد أو في الحي أسمعهم يتحدثون تلك اللغات المختلفة عن العربيّة تمامًا الأمر الذي لم ألحظه في الخرطوم وأم درمان وقد عشت فيهما عامًا كاملًا، مع أنَّ اللكنة والعجمة فاشيتان جدًّا في التداول الاستعمالي في أم درمان؛ وقد حضرت مباراة كرة قدم في ملعب المقدم الشهيد "سبت دودو" المقابل لقيادة سلاح المهندسين في أم درمان فسقط أحد اللاعبين واسمه عابدين فهتف الجمهور بلهجة واحدة (آبدين آبدين آبدين) حتى نهض.

وعلى الرغم من شيوع اللحن والعجمة؛ فإنَّ هناك لهجة عاميّة مشتركة تسود على الرطانات واللهجات الأخرى ولا أعتقد بأنَّ هذه اللهجة هي نتاج

سوداني مطلقًا بل هي لهجة ممتدة في القرن الأفريقي كاملًا فقد سمعتها في إقليم قاش بركة الإريتري كما ذكرت سابقًا وخاصة عاصمة الإقليم؛ مدينة بارنتو وفي قرية تُكُمبيا وفي قرية أم حجر بل وفي العاصمة أسمرا، وسمعتها في منطقة الحميرة في إثيوبيا أيضًا.

وبما أنَّ العامّيّة السودانيّة شأنها شأن أيّ عاميّة أخرى تغلب عليها سمات مشتركة مثل: إهمال الإعراب وتسهيل الهمز ولغة أكلوني البراغيث، والاستنطاء وظواهر الإبدال الصوتي وغيرها من الظواهر اللغويّة؛ لكنّها لهجة معقدة كما وصفها الشريف قاسم؛ وقد تفردت هذه اللهجة السودانيّة المعقدة بظواهر لغويّة خاصة دعا عون الشريف قاسم إلى دراستها ضمنيًّا بقوله: " ودراسة هذه الظواهر النحويّة للهجتنا العامّيّة تحتاج إلى مجهودات كبيرة حتى يكشف عن أسرارها الخفيّة" (قاسم، 1989، ص283) وقد أغفل الباحثون دراسة ظاهرة مهمة وغريبة وشائعة وهي حقيقة بالدراسة وهي بناء "التاء" الفاعل - ضمير المتكلم المفرد - على الفتح عند إسناد الفعل الماضي إليه.

اسناد الفعل الماضي إلى الضمير المتصل المرفوع للمتكلم أو المخاطب

رصد الباحث ظاهرة عامة منتشرة في العامّيّة السودانيّة المشتركة؛ هي ظاهرة بناء ضمير الرفع المتصل للمتكلم المفرد (التاء) – مجرَّدًا من هاء المفعول - على الفتح؛ كبناء تاء الفاعل للمفرد المخاطب تمامًا؛ فيقولون: أنا قُتَّ (gutta)، كما يقولون أنت قُتَّ(gutta)، وأنا رَقَدْتَ (ragadta) ودرسْتَ ولعبْتَ ورميْتَ واستيقظْتَ وتدحرجْتَ واستخرجْتَ كما يقولون أنتَ رقدْتَ ودرسْتَ ولعبْتَ ورميْتَ واستيقظْتَ وتدحرجْتَ واستخرجْتَ؛ ويقولون: سمعتَ كلامك كما يقولون: سمعْتَ كَلامِي (kalāmmī)، أو بناء اسم كان وأخواتها فيقولون: أنا كُتَّ (kutta)، وصرْتَ، كما يقولون: أنت كُتَّ (kutta)، وصرْتَ، وبناء نائب الفاعل فيقولون: أنا ضُرِبْتَ؛ كما يقولون: أنت ضُرِبْتَ وهكذا.

وهي من الظواهر الشائعة جدًّا في العامّيّة السودانيّة المشتركة، فلا تكاد تسمع من يخرج عليها في الاستعمال إلا بعض اللهجات في بيئات خاصة عند الشايقيّة مثلًا إذ يحذفون تاء الفاعل نهائيًّا ويسكنون ما قبلها فيقولون: أنا رقدْ، أنا قلْ، أنا أكلْ، وعرب الرشايدة التي تنطقها بالضم فصيحة سواء رشايدة السودان أم رشايدة إريتريا، وقبيلة الحَمْر التي تُسكّنها، أمّا معظم من تكلم العربيّة في السودان فينطقون بالفتح بما فيهم بني عامر الذين يخالفون لغتهم الأم "التقري" التي توافق الفصحى ويفتحون عند الكلام بالدارجة السودانيّة.

وعلى الرغم من أنَّ الإطار المكاني للدراسة محصور في وسط جمهوريّة السودان إلا أنَّ الباحث عاش في غرب السودان واستقصى الظاهرة في نيالا والفاشر وهما مدينتان رئيسيَّتان في (إقليم دارفور) وكذلك عاش في القرن الأفريقي في إريتريا وإثيوبيا ولمس آثارًا للظاهرة بين الناطقين في العربيّة الشماليّة هناك كما ذكرت سابقًا، وقد بنى الباحث هذا الحكم بالشيوع الاستعمالي الواسع من خلال تجواله في معظم الحلل والقرى التابعة لنيالا والفاشر فوجد الظاهرة تشيع فيها أيضًا سواء بين القبائل العربيّة أو قبائل الزرقة ذات الرطانات الخاصة (اللغات)، كالفور والزغاوة والبرتي والتنجر.

ضمير"تاء" المتكلّم

إنَّ الاسم المضمر أعرف المعارف "وأعرف الضمائر ضمير المتكلم؛ لِأَنَّه لا يشاركه فيه أحد غيره، فلا يقع فيه التباس، بخلاف غيره من سائر المعارف "(ابن الأنباري، د ت، ص345) وصوت التاء المفردة المضمومة هو الصوت الدال على ضمير الرفع المتكلم المفرد، وسماها الخليل تاء النَّفْس (الخليل، 1985، ص277-278) وهي بإجماع النحاة مرفوعة دائمًا فنقول: قرأتُ وكتبتُ وشربتُ بالرفع على الفاعليّة، وكنتُ وصرتُ بالرفع على محل اسم كان، وضُربتُ واستُدرجتُ بالرفع على محل نائب الفاعل، وتاء الْمُخَاطب الْمُذكر: منصوبة دائما فنقول: أَنْت قرأتَ أَنْت لعبتَ أَنْت ذهبتَ ، كنتَ، صرتَ، ضُربتَ واستُدرجتَ.

وعلل السيوطي ذلك بقوله: "وَخص الْمُتَكَلّم بِالضَّمِّ لِأَنَّهُ أَوّلٌ عَن الْمُخَاطب فَكَانَ حَظه من الحركات الْحَرَكَة الأولى وَقيل لِأَنَّهُ إِذا أَخبَر لَا يكون إِلَّا وَاحِدًا وَإِذا خَاطب فقد يُخَاطب أَكثر من وَاحِد فألزم الْحَرَكَة الثَّقِيلَة مَعَ اسْمه والخفيفة مَعَ الْخطاب ... قَالَ أَبُو حَيَّان: وَهَذِه التعاليل لَا يحْتَاج إِلَيْهَا لِأَنَّهَا تَعْلِيل وضعيات والوضعيات لَا تعلل" (السيوطي، 2010، ص223) " ومن طلب للوضعيات تعاليل فأحرى بأنْ يقل صوابه ويكثر خطؤه" (أبو حيان، 2001، 594/1)

ولعلنا نتوقف عند القول بالرفع أبدًا وهو مذهب اللغويّين القدامى؛ وهذا القول معياريّ فقط لِأَنَّ الاستعمال اللغويّ جاء بغير ذلك؛ فأغلب العاميات تذهب إلى التسكين وبعضها يميل إلى الفتح؛ طلبًا للخفة أو مساواة بين الفتح والتسكين في الاستعمال اللغويّ. وعلل ابن جني القول بالرفع: " فأمّا التاء المتصلة بفعل المتكلم الماضي...فمبنيّة على الضم، ليدل على الفاعل، لِأَنَّ الفاعل أبدًا مرفوع، والمذكر والمؤنث فيها على سواء، ولِأَنَّ المتكلم لا يحتاج إلى بيان، لِأَنَّه بنطقه ينبئ عن نفسه، وتَثْبُتُ في الفعل، لِأَنَّهَا لو أسقطت لاشتبه بفعل الغائب" (الكوفي، 2002، ص341).

وكأنَّ ابن جني يضع المعايير اللغويّة للرفع ثم يعلل الخروج عليها في الاستعمال اللغويّ، وأيّ دليل أوضح من أنْ ينبئ المتكلم عن نفسه وأيّ لبس يحدث سواء رفع أم نصب ما دام السياق الكلامي يدل على نوع الضمير؟! ولا يتأثر بالعوامل المختلفة؛ يقول برجستراسر: "فالكلام من طبيعته وجوهره، أنَّه كلام متكلم، فـ(أنا) المتكلم أصل كل كلام، ومنبعه وأقدم منه. والمتكلم لا يُكلم نفسَه في الأصل، بل مُخَاطَبًا، فـ(أنت) المخاطب أصل ثانٍ، ومنبع للكلام أقدم منه أيضًا" (برجستراسر، 1994، ص79 -80).

ويرى ابن يعيش: "أنهم أرادوا الفرق بين ضميري المتكلم والمخاطب، فنزّلوا المتكلم منزلة الفاعل، ونزلوا المخاطب منزلة المفعول من حيث كان هذا مُخَاطَبًا، وذاك مُخَاطِبًا، فضموا تاء المتكلم لتكون حركتها مجانسة لحركة الفاعل، وفتحوا تاء المخاطَب لتكون حركتها من جنس حركة المفعول" (ابن يعيش، 2001، ج2/ ص294-295)؛ فإنْ قلنا: إنَّ الضمير ينوب عن الاسم الظاهر وهو الفاعل ويأخذ حركته فمن باب أولى أنْ تكون تاء المخاطب مبنيّة على الضم أيضًا لِأَنَّهَا نابت عن اسم ظاهر وهو فاعل أيضًا وأُسند إليه الفعل وليس مفعولا به.

أمّا استنادهم إلى حكم أنَّ الفاعل مرفوع أبدًا؛ فهو قاصر لقصور الحكم نفسه؛ المبني على استقراء ناقص للغة، وإلا كيف نُفسر قولَ ابن مالك؟ (الأشموني، 1998، ج1، ص425)

ورفعَ مفعولٍ به لا يَلْتَبِس ونصبَ فاعلٍ أجزْ ولا تَقِسْ

وقول العرب "خرق الثوبُ المسمارَ" (الأشموني، 1998، ج1، ص425) وقول الأخطل: (الأخطل، 1994، ص109)

مثلُ العيارات هداجون قد بلغت نجران أو بلغت سواتِهم هجرُ

ولعلنا نركن إلى قول أَبي حَيَّان: "وَهَذِه التعاليل لَا يحْتَاج إِلَيْهَا لِأَنَّهَا تَعْلِيل وضعيات والوضعيات لَا تُعلل" (السيوطي، 2010، ص223).

وقد لامسَ بعضُ المُحْدَثين هذه الظاهرة ومنهم عابدين إذ قال: " ويفتحون تاء المخاطب المفرد، وتاء المتكلم المفرد إذا التقت في الفعل بساكن، يقولون: "لبِسْتَ" أو التقت بساكن عند الوصل، مثل: "لبسْتَ التوب". فإذا لم يلتق في الفعل ساكنان فالأغلب إبقاء السكون على التاء عند الوقف، مثل: "بِقيتْ، لِقيتْ، نسيتْ"؛ فإذا اتصلت بما أوله ساكن تحركت التاء بالفتح" (عابدين، 1989، ص95-96).

وأرى أنَّ ما ذهب إليه عابدين قاصر أيضًا إذ فسَّر بناء تاء الفاعل على الفتح في الفعل بالتقاء الساكنين؛ فالأصل في حالة الوقف هو التسكين لا الفتح :"لِبِسْتْ" لِأَنَّ التقاء الساكنين في الوقف جائز في العربيّة، ولو ذهب بتفسير الانزياح إلى الفتح طلبًا للخفة لكان أكثر قبولًا؛ وأما قوله إذا اتصلت بما أوله ساكن تحركت التاء بالفتح؛ فهذا وصف وليس تفسيراً، لِأَنَّ قوانين اللغة العربيّة تحتم في حالة الوصل بأنْ يتحرك الضمير" التاء" بحركته الأصليّة وهي الضم في هذه الحالة وليس الفتح، أما قوله تسكينها عند الوقف فهذا نادر أما الشائع فهو تحريكها بالفتح حتى عند الوقف إذ يقولون: أنا رقدتَ. أنا كنتَ. أنا ضُربتَ.

وعدّها محمد علي حريكة لحنًا يقول: " تاء المتكلم في الفصيح أنَّها مبنيّة على الضم تقول: تحدثتُ، وشكرتُ، ولكنْ في العامّيّة الكردفانيّة بل السودانيّة يبنونها على الفتح فيقولون: تحدثتَ إليك، وقلتَ لك. وقبيلة حَمْر تسكنها مع كسر الحرف الذي قبلها فيقولون: تحدثِت، وقِلتْ وسمعِتْ، وإنْ كانت الفتحة أخف من الضمة، فهم طالبون للخفة ومع طلبهم هذا وقعوا في لحن قبيح، ولكنّ العلة في ذلك طلب الخفة، والخفة مندوحة إلى اللحن" (حريكة، 2017، ص14-15)، وأظنّه تسرع في حكمه هذا؛ وسنثبت ذلك في موضعه.

وأرى أنَّ شيوع هذه الظاهرة في هذه البيئة اللغويّة التي تعاني من نزاع الهويّة والعرقيّة والإثنيّة جعلها موضع اهتمام وغرابة أحيانًا؛ لكنّ ذلك يزول عند استقصاء هذه الظاهرة في بيئات عربيّة خالصة وعبر مراحل متعددة وما زالت آثارها باقية ومستعملة إلى الآن وسنتطرق إليها، ولنا في تفسير هذه الظاهرة آراء:

العدول زيادة في انتباه السامع

إنَّ غرابة النسق اللغويّ والخروج به عن المألوف يلفت الانتباه ويثير الاهتمام للمتابعة وتلقي خطاب المتكلم، وظاهرة عدول العرب من الضم والكسر إلى الفتح هي ظاهرة كثيرة الدوران في الاستعمال اللغويّ؛ وانشغل النحاة في تعليل ذلك؛ وأرى أنَّ المغالاة في تفسير ما علّته معروفة لا يفيد؛ فهذه لهجة شائعة كثيرة الدوران سواء كان الفتح طلبًا للخفة، أو للتخلص من التقاء الساكنين أم كان لتباين ضروب الكلام بالخروج من الرفع إلى النصب، أو النصب إلى الرفع كما ذكر ابن جني (ابن جني، 1994،ج2، ص198) أم كان بقصد جذب الانتباه كما ذهب الحموز:" ويتبدّى لي أنَّ ما مرّ يعدُّ دليلًا بينًا على قصد العربي الفصيح هذا الانزياح لجذب الانتباه" (الحموز، 2008، ص55) أم كان بسبب "الافتتان لمخالفة الإعراب، وغير المألوف - زيادة تنبيه، وإيقاظ السامع، وتحريك من رغبته في الاستماع " (الحموز، 2008، ص60) " إنَّ إثارة انتباه السامع تأتي من عدة نواح بعضها يتعلق ببنية الضمير، والآخر يعود إلى التركيب والسياق، والذي يتعلق بالضمير هو ثبات صورة الضمير سواء كان للمتكلم أو المخاطب أو الغائب...ذلك أنَّ ما تختص به الضمائر من حالة البناء أو الجمود أمر مثير للانتباه لِأَنَّ بنيتها تثبت على حالة واحدة غير متغيرة ولا تتأثر ظاهريًّا بالعوامل المختلفة" (محمد، 2015، ص115).

قال تعالى: ﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾ (الصافات:12) وقرأ الجمهور بالفتح واختُلِفَ في إسناد الفعل إلى تاء المتكلم أم تاء المخاطب؛ إذ يختلف المعنى اختلافًا كبيرًا؛ وهذا لا يكون؛ قال تعالى: ﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا كثيرًا﴾ (النساء: 82)؛ فمن أسند العجب إلى تاء المخاطب عَدَّ العجب من طبع البشر، ومن أسند إلى تاء المتكلم؛ فسّرَ العجب بالإنكار والتعظيم وأحيانًا التحقير "وقال الفراء : العجب إنْ أسند إلى الله - عز وجل - فليس معناه من الله كمعناه من العباد ... وقال الحسين بن الفضل : التعجب من الله إنكار الشيء وتعظيمه ، وهو لغة العرب، ويسخرون قيل : الواو واو الحال ، أي : عجبت منهم في حال سخريتهم" (القرطبي، 2006، ج18، ص20).

"وقد عجب ربنا من عظيم ما قاله المشركون في الله، وسخر المشركون بما قالوه" (الطبري، ج19، ص514) وبما أنَّ التنزيل بالفتح والمشهور كذلك وبما أنَّ التفسير المشهور بإسناد الفعل إلى تاء المتكلم (إسناد العجب إلى الله)، قال صلى الله عليه وسلم: "بل عجب الله من صنيعيكما" (البخاري، 2008، ج3،ص150)، وإسناد العجب إلى الله مدعاة للفت الاهتمام والانتباه لأمر عظيم أراده الله تعالي فجاء التنزيل الشريف بالفتح، وقد يكون هذا التوجيه أفضل من تطويع المعنى لقاعدة نحويّة شكليّة فلسفيّة تأولوها دون حاجة في ظل انتفاء اللبس.

وأنتهي إلى أنَّ الفتح بإسناد الفعل إلى تاء المتكلم المفتوحة يتوافق مع التفسير المشهور بإسناد العجب إلى الله زيادة في انتباه السامع وتعظيم المعنى كما ذكر القرطبي "التعجب من الله إنكار الشيء وتعظيمه، وهو لغة العرب" (القرطبي، ص446) فالمتكلم قد يقصد الانحراف عن المألوف المعياري أو الشائع في الاستخدام بقصد إرادة تفخيم المعنى والتوسع فيه بالإضافة إلى زيادة اهتمام السامع فإنَّ "المتكلم يرفع، وينصب، ويجرُّ على حسب قصده، ونيته، ورغبته في تحقيق معنى ما، أو فكرة ما، فلسانه قد ينزاح عن المألوف الفصيح الشائع" (الحموز، انزياح اللسان، ص49).

القياس على أصل الفعل:

اطرد بناء التاء في هذه الصيغة على الفتح اطراد بناء الفعل الماضي نفسه على الفتح، "لِأَنَّ التاء لمَّا اتصلت بما قبلها من الفعل، ولم يمكن فصلُها من الفعل، صارت ككلمة واحدة" (ابن يعيش: شرح المفصل، 556/5).

إنَّ الضمير والفعل متلاصقان فيصبح الضمير كأنَّه من صيغة الفعل "لِأَنَّه كجزء منه، إذ كان يُغيِّر بناءه حتى يختلِط به، كأنَّه من صِيغته، كقولك: "ذهبْتَ"... فتُسكن آخِرَ الفعل، وقد كان مفتوحًا قبل اتّصاله به ... لِأَنَّ ضمير الفاعل يصير كحرفٍ من حروف الفعل، فيتّصل به ضميرُ المفعول بالفعل مع ضمير الفاعل، كما يتّصل به خاليًا من الضمير، فتقول: ضربتُلكَ، وضربتَني". (ابن يعيش 320/2).

وهنا نقول بأنَّ من ضمّ فعلى الأصل في رفع الفاعل ورفع اسم كان وأخواتها في مثل "كنتُ" وهو المعياري الشائع كثير الدوران ومن فتح أو بنى على الفتح كما هو شائع في اللهجة السودانيّة فعلى الأصل في بناء الفعل الماضي.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ (يوسف: 23).

وقد تعددت القراءات في "هيْتَ" وتعددت آراء النحاة في تفسيرها؛ فمنهم من قال: بأنَّها اسم فعل أمر، ومنهم من قال: بأنَّها لغة حورانيّة سقطت إلى مكة فتكلموا بها (الفراء، 2001، 40/2)، وهي في بعض اللغات تَتَعَيَّن فعليَّتُها كما ذكر الزَّجاج، وزاد بأنْ تكونَ فعلًا مسندًا لضمير المتكلم مِنْ هاءَ الرجلُ يَهِيءُ كجاء يَجِيء أو هاء يَهَاءُ كشاء يشاء؛ بمعنى "تهيأتُ وحسنت لك، وأنَّ "هَيْتَ لك" مع فتح التاء والهاء، فهو أكثر كلام العرب" (الزّجاج، 1988، 100/3). وإلى مثل ذلك ذهب ابن هشام: "مُسَمَّاهُ فعل مَاضٍ أَي تهيأت فَاللَّام "لك" مُتَعَلقَة بِهِ كَمَا تتَعَلَّق بمسماه لَو صرح بِهِ" (ابن هشام، 1985، 293/2).

وأَكدَّ الفارسي فعليتها "هِئتُ" تمامًا كجئت وفئت وشئت و" ويجوز في قراءة من حذف الهمزة أنْ يقول: (هِيْتَ لك) بغير همز والتاء ضمير الفاعل" (الفارسي، ج4، ص430) والمشهور في تاء الفاعل هذه النصب، ولم يكتف الفارسي بالقول بفعليتها بل بناها للمعلوم وأنكر بناء الفعل للمجهول "المفعول" لِأَنَّ " سياق الآية يدل على التهيؤ الذي هو الاستعداد... تهيؤ العمل لطلب الخلوة" (الفارسي، ج4، ص420).

فإنْ أمّنّا على ما ذهب إليه الزجاج والفارسي - وهما إمامان في اللغة - بأنَّها فعل ماضٍ مسند إلى ضمير المتكلم، وأخذنا بالقراءة المشهورة بأنَّ الفتح فيها هو أكثر كلام العرب، وأُمِنَ اللبس فالخطاب كان من المرأة ليوسف بدليل المراودة في بداية الآية فعلام ننكر هذه الظاهرة مع شيوعها وكثرة تداولها ودورانها في السودان الآن، بالإضافة إلى ما ذهبنا إليه من العدول إلى الفتح لزيادة اهتمام السامع وجذب انتباهه وهذا ما قصدته امرأة العزيز لإغراء سيدنا يوسف عليه السلام وزيادة انتباهه.

أثر الظاهرة في لهجة ظفار

ولا نستطيع أنْ نرجح نسبة هذه الظاهرة إلى قبيلة من القبائل العربيّة بعينها إلا أننا نلمح وجودها في بعض اللهجات الحديثة؛ فقد رصدتُ تشابهًا في الظاهرة بين العامّيّة السودانيّة وبين عامّيّة ظفار؛ ولم يتسنَّ لي العيش في ظفار لكنَّني تتبعتها في الشعر الشعبي وبعض التسجيلات الصوتيّة للأغاني الظفاريّة، ويكفي أنْ تستمع للأغنية الظفاريّة الشائعة (يا صولي) للعماني سالم بن علي، كتبها ولحّنها الشاعر العماني جمعان ديوان رمضان النوبي من صلالة؛ إذ تقول كلمات الأغنية (النوبي، 2000، 105/1):

تَبَاعَدْتَه يا صُولي، باعدتَ يا صُولي قُربْ حمران بشويّة

تَعبْتَ ما معي قدرةْ، تعبْتَ ما معي قدرة من السيرة والجيّة

ونلاحظ هنا ضمير الرفع للمفرد المتكلم مبنيًا على الفتح: (تَبَاعَدْتَه، وباعدْتَ، وتَعبْتَ) في حين إذا استمعت للأغنية نفسها بصوت غير ظفاري كحسين الجسمي تختفي هذه الظاهرة. والظاهرة شائعة في الديوان المنشور لديوان جمعان يقول (النوبي، 2000، 86/1):

ما جَعَنْتَ المحبّة هكذا تعمل هي نستني وأنا ما كنت ناسيها

وفي آخر يقول (النوبي، 2000، 160/1):

حَلَفْتَ الصَّرَاب ما تخرجين لُه لوب بالعشاء أربع صواني
لي قال جمعان بو سلامة واللّي غَزيتَ ما رُدْ خالي

نلاحظ وضوح الظاهرة في النص الشعري المكتوب والمضبوط بالحركات: (وما جَعَنْتَ، وحَلَفْتَ الصَّرَاب ما تخرجين لُه، واللّي غَزيتَ ما رُدْ خالي).

كذلك في القصيدة الظفاريّة المغناة "يا زين هيَّمتَ بروحي" (ابن جبران، 2019/2/15، https://www.youtube.com/watch?v=hy8DalRglwc) تسمع فتح ضمير المتكلم بوضوح عندما يرددون: إنت قَنَعْ قلبك وطبْتَ لكنّي آنا ما صبرتَ. كذلك القصيدة المغناة على شكل هجيني: شفتَ شيء طير بعقلي (ابن جبران، 2016/11/24، https://www.youtube.com/watch?v=kNePc2KAxKw) إذ يتكرر المقطع كثيرًا وفي كل مرة تبرز الظاهرة.

وربما يتساءل متسائل فيما لو كان ما رصدته خاصًا بجمعان ديوان؟ فأقول له اسمع قصيدة: صبّرتَ قلبي بسَّ قلبي ما صبر(حسام عبدان، 2014/6/22، https://www.youtube.com/watch?v=YuRChmEP2wQ)؛ لقيس ربيع أبو غزان، بصوت: مؤيد حبراص؛ وهذه الأغنية تمثل فن الربوبة.

وكذلك أغنية ظفاريّة من التراث العماني تسمى: صبّرتَ قلبي وقلبي يحكم بلازم عليا (نبراس عُمان، 2017/2/1، https://www.youtube.com/watch?v=E2rGChsZgWU)؛ من إنتاج تلفزيون عُمان 2004م. كذلك أغنية عمر جبران "أنا نظرتَ طير ثنتين فوق شجرة" (نبراس عُمان، 2016/8/19، https://www.youtube.com/watch?v=wboAQ_aQjzc)

وزيادة في التوثق من الظاهرة وتجنبًا للأحكام المبنيّة على الاستقراء الناقص تواصلت مع الدكتور محمد سالم المعشني وهو مختص في اللغة ومن أبناء صلالة وسألته عن الظاهرة فأرسل لي بحثًا علميًا منشورًا بعنوان: "دراسة لغويّة في لهجة صلالة، مجلة جامعة نزوى للدراسات الأدبيّة واللغويّة (الخليل)، السنة الأولى، العدد الأول، يناير 2014" يؤكد وجود هذه الظاهرة في لهجة صلاة وينسبها إلى اللهجات العربيّة الشماليّة القريبة من الفصحى؛ يقول: "تُعدُّ اللهجة المدروسة إحدى اللهجات العربيّة المعاصرة، وهي من لهجات العربيّة الشماليّة القريبة من الفصحى" (المعشني، 2014، ص39) وفيها: "تتحول ضمة تاء ضمير المتكلم إلى فتحة حيث يقال: قلتَه، شرحتَه، بمعنى: قلتُ شرحتُ" (المعشني، 2014، ص27) ويصف المعشني تصريف الفعل الماضي السالم الصحيح عند إسناده إلى ضمائر الرفع المتصلة :" ضمير المتكلم: (تا) أو (تَ) حيث يقال: كتبتا وشرحتا بدلًا من كتبتُ وشرحتُ" (المعشني، 2014، ص28) ثم ينتهي المعشني إلى أنَّ هذه الظاهرة "من أهم النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة على المستوى الصوتي ... تقلب اللهجة ضمة تاء ضمير المتكلم "تُ" إلى فتحة فتنطق كتبتَه أو كتبتا" (المعشني، 2014، ص42).

ووجود آثار هذه الظاهرة في صلالة ينسف دعوى السودانويّة التي أشرنا إليها سابقًا، والتفرد اللغويّ السوداني بعيدًا عن الامتداد العربي، وقد تكون انتقلت إلى الحبشة مع القبائل العربية المهاجرة من جنوب الجزيرة العربية.

الظاهرة في ضوء علم اللغة الحديث

وفي ضوء علم اللغة الحديث؛ فإنَّ اللغة الأم هي الصورة المثاليّة مقارنة باللهجات العامّيّة؛ أو هي الصورة المعياريّة؛ ولا يعني خرق أي نمط لغوي لأحد القيود الشكليّة للصورة المعياريّة أو أكثر أنَّه نمط مرفوض لغويًّا؛ ما دام أنَّه حقق القيود اللغويّة المهيمنة الصارمة وهي أكثر أهميّة من القيد الشكلي المخترق؛ وتختلف أهميّة قيود التفاضل من حالة إلى أخرى فبعض الخروقات اللغويّة للقاعدة تعكس المستوى الإبداعي للغة؛ فالحذف أو التقديم والتأخير قد يكونان معيارين بلاغيين يعكسان مستوى إبداعيًّا وإنْ خَرَقَا القاعدة اللغويّة. وعودًا على الجدول التفاضلي فإنَّ القيود المهيمنة الصارمة في هذه الحالة هي: وضوح المعنى، وأمن اللبس، ومثال القيود الشكليّة: الحركة الإعرابيّة في ظل وضوح المعنى وأمن اللبس؛ وبما أنَّ المتكلم حاضر بنفسه ناطق بكلامه لمخاطب بعينه فإنَّ أهميّة الحركة الإعرابيّة تقل كثيرًا في سياق كهذا وتتراجع رتبتها في الجدول التفاضلي، كما أنَّ الوظيفة الصوتية للحركات بوصل الكلام والتخلص من التقاء الساكنين نسقطها من جدول التفاضل لتساوي الفتح والضم فيها، ومن ثَمَّ لا تكون قيدًا للتفاضل. إنَّ العامّيّة السودانيّة التي مالت إلى الفتحة طلبًا للخفة تتساوى في المقبوليّة بل والأفضليّة مع العاميات التي مالت إلى الاستغناء عن حركات الإعراب في مثل هذه الحالة؛ والجدول الآتي يوضح ذلك:

الجدول (2) الجدول التفاضلي وفق نظريّة الأفضليّة اللغويّة

النمط اللغويّ كتابة	المعنى	أمن اللبس	الحذف	الاستعمال	الحركة الإعرابية	ملاحظات
أنا قُلتُ لكَ	√	√	√	√	√	الفصحى
أنا قُلتَ ليكْ	√	√	√	×	×	العامّيّة السودانيّة/ وبعض لهجات ظفار
أنا قُلتْ ليكْ	√	√	√	×	×	العاميات الأخرى
أنا قُلْ ليكْ/ أنا رَقدْ	√	√	×	×	×	لهجة الحمر، والشايقيّة
قُلتْ	×	×	√	×	×	نمط افتراضي دون سياق لغوي

وعند تحليل جدول المفاضلة الافتراضي هذا بين الأنماط اللغويّة في ضوء مستويات التفاضل وفق نظريّة الأفضليّة اللغويّة (القيسي، 2017، ص43) نخرج بالتالي:

- المستوى الأفضل: حقق النمط الأول والذي يمثل الفصحى عدد خروقات أقل للقيود اللغويّة المهيمنة منها (المعنى وأمن اللبس) أوقيود ثنائيّة المستوى: (جوهريّة؛ كالحذف والإضمار أو شكليّة؛ كالحركة الإعرابيّة) وكذلك الاستعمال وكثرة التداول والشيوع. (أفضليّة لغويّة وأفضلية استعمالية)
- المستوى المقبول: ويشترك فيه الأنماط اللغويّة الثاني والثالث والرابع إذ تساوت في عدد الخروقات للقيود الموضوعة، وفي حال المفاضلة بين هذه الأنماط الثلاثة فقط يحقق النمط الرابع درجة مقبوليّة أدنى من النمطين الثاني والثالث والسبب أنَّه خرق قيدًا جوهريًا وهو الحذف.
- المستوى المرفوض: ويمثله النمط الأخير؛ وهو يسقط من جدول المفاضلة مجرد خرقه للقيد المهيمن الصارم الأول وهو المعنى؛ ولكنَّنا تركناه ضمن الجدول وطبقنا باقي شروط التفاضل للتوضيح فقط؛ فالمعنى في النمط الأخير مبهم؛ إذ لم يتضح لنا هل الضمير للمتكلم أم للمخاطب في ضوء نمط مكتوب افتراضي تعليمي كهذا.

ومن هنا نرد الرأي الذي لحّن هذه الظاهرة.

قانون الحد الأدنى من الجهد

تختلف الوحدات الصوتيّة بعضها عن بعض من حيث الوظيفة النحويّة في السياق الصوتي والسياق اللغويّ بشكل عامّ، كما أنَّها تختلف من حيث الجهد العضلي وكميّة النشاط اللازمة لإنتاج كل صوت؛ لذا فإنَّ العربيّة الفصيحة ولهجاتها تخضع لطبائع البشر بالميل إلى السهولة والتيسير"عن طريق اختزال بعض الجهود المبذولة، ويبدو ذا هو السبب في عزوف المتكلمين عن بعض الصور النطقيّة إلى أخرى سواها" (عبد الجليل،1998، ص144).

وقد سعى إبراهيم أنيس الاقتصاد في الجهد العضلي بالكسل يقول: "إنْ شئت فسمه كسلا، ولكنّه على كل حال يحقق الغرض بين المتكلم والسامع ولا يُخلّ بهدف الكلام وهو الفهم" (أنيس، 2002، ص116) ومن مظاهر الاقتصاد في الجهد العضلي طلب الخفة عند العرب.

وهذا يقودنا للتفريق بين وظيفة الفتحة كحركة إعرابيّة شكليّة في حالتنا هذه، وبين كونها مطلبًا للخفة كما هو الحال عند العرب عامّة؛ فاللسان العربي يطلب الخفة بالفتح، يقول إبراهيم مصطفى: "أما الفتحة فليست علامة إعراب ولا دالة على شيء؛ بل هي الحركة الخفيفة المستحبة عند العرب، التي يراد أن تنتهي بها الكلمة كلما أمكن ذلك؛ فهي بمثابة السكون في لغة العامة" (مصطفى، 1992، ص50).

وبما أنَّ السياق اللغويّ الذي تنطق به تاء المتكلم واضح لا لبس فيه إذ إنَّ المعني يحُسّه المتكلم حين يتكلم، ويدركه السامع حين يسمع، وفي هذه الحالة تسقط أهميّة العلامة الإعرابيّة بدليل تسكين أواخر الكلام في العاميات العربيّة الدراجة غالبًا؛ بل إنَّ العرب " تستخف الفتحة عن غيرها من الحركات؛ بل تستخفها عن السكون أيضًا" (مصطفى، 1992، ص107).

وبما أنَّ الشائع في الاستعمال أنْ ينزع اللسان العربي إلى الفتح طلبًا للخفة؛ فإنَّ اللهجة العربيّة في السودان مالت إلى ما هو أبعد من السهولة والتيسير المعتاد فمالت إلى تفعيل قانون الحد الأدنى من الجهد" والذي يشير إلى أنَّ الإنسان في نطقه يميل إلى تلمس ما هو سهل وميسور لديه سواء في الأصوات أو الحركات التي فيها لا يحتاج إلى جهد عضلي إلى نظائرها السهلة" (عبد الجليل، 1997، ص64) ومن يعشْ في السودان يدركْ تمامًا مدى فعاليّة هذا القانون في حياة السودانيين ومعاشهم حتى أصبح جزءًا من شخصيتهم التي تمتاز بالرضا والقناعة بالقليل، وربما يتشاركون مع مَنْ وصفهم إبراهيم أنيس: " ويخلد إلى السكينة والهدوء فحياته مليئة بالتراخي، وبما يشبه الكسل حتى في نطقه. فهو يقتصد في الجهد العضلي وفي النفس" (أنيس، 2002، ص115).

وقد ينطبق هذا القانون على اللهجة السودانيّة عمومًا؛ تلمّسًا لبذل الحد الأدنى من الجهد العضلي، والطاقة اللازمة لنطق الفتحة مقارنة بما تحتاجه الضمة من جهد أكبر، ذلك أنَّ الجهد يكمن في اختلاف نسبة صعود اللسان نحو الحنك؛ فالضمة من الأصوات الضيقة التي يبلغ اللسان في نطقها أقصى ما يمكن أنْ يصل إليه من صعود نحو الحنك، بينما الفتحة من الأصوات الواسعة لأنَّ اللسان معها يبلغ أقصي ما يمكن أنْ يصل إليه من هبوط في قاع الفم، ثم إنَّ الجهد في حركة اللسان نفسه يختلف أيضًا، كذلك نجد أنَّ الشفتين منفرجتان مع الفتحة مستديرتان مع الضمة، وبهذا ندرك الفرق في الجهد والطاقة في لفظ الصوتين.

الخاتمة

سجّلت الدراسة ظاهرة غير مألوفة في العاميات العربية، وانتهت إلى أنها تقع ضمن إطار المستوى المقبول لغويًّا من وجهة علم اللغة الحديث؛ ويرى الباحث أنَّ المسوغ الرئيس في انزياح اللسان من الضم إلى الفتح في حالتنا هذه غياب الدور الوظيفي النحوي لكلا الصائتين "الفتحة والضمة" نظرًا لوضوح السياق اللغويّ، أمّا الوظيفة الصوتيّة للحركات فهي وصل الكلام والتخلص من التقاء الساكنين وهي متحققة سواء أكانت فتحة أم ضمة وهذا ما يفسر بناء تاء ضمير المتكلم على الفتح بدلًا من الضم تمامًا كتاء ضمير المخاطب.

دحضت الدراسة دعوى السودانويّة وأنَّ الدراجة السودانية ما هي إلا امتداد للهجات القبائل العربية بدليل اشتراكها معها في كثير من الظواهر اللغويّة وتفردها بهذه الظاهرة قد يكون امتدادا للهجات عربية قليلة الدوران والشيوع كلهجة صلالة في ظفار مثلًا وليست ابتكارًا سودانيًّا.

فتحت الدراسة بابًا جديدًا أمام الباحثين العرب غير السودانيين لدراسة اللهجات السودانيّة المختلفة كلهجة المجانين، ولهجة الرشايدة، ولهجة الحوازمة، ولهجة عيال حامد، ولهجة الشايقية، وبعض لهجات المستعربين كقبائل الزُّرقة في غرب السودان، ودراسة أثر اللغات السودانيّة المحليّة في إغناء اللهجة السودانية والقاموس العربي للهجة السودانيّة.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

الأخطل، غ. (1994). *الديوان*. (ط2). بيروت: دار الكتب العلمية.

الأشموني، ع. (1998). *شرح الأشموني على ألفية ابن مالك*. (ط1). بيروت: دار الكتب العلميّة.

ابن الأنباري، ع. (د.ت). *أسرار العربيّة*. *دمشق:* مطبوعات المجمع العلمي العربي.

أنيس، إ. (2002). *في اللهجات العربيّة*. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصريّة.

أنيس، إ. (د.ت). *الأصوات اللغويّة*. القاهرة: مكتبة نهضة مصر.

البخاري، م. (2008). *الجامع الصحيح للبخاري من رواية أبي ذر الهروي عن شيوخه الثلاثة*. الرياض.

برجستراسر، ا. (1994). *التطور النحوي للغة العربيّة*. (ط2). القاهرة: مكتبة الخانجي.

التوم الأمين، م. (2021). محاضرة أكاديميّة السفير معاوية التوم الأمين (الهويّة السودانيّة)، كليّة الدفاع الوطني، أكاديميّة نميري العسكريّة العليا، يوم الخميس 2021/8/12.

الجاحظ، ع. (1998). *البيان والتبيين*. (ط7). القاهرة: مكتبة الخانجي.

ابن جني، ع. (1993). *سر صناعة الإعراب*. (ط2). دمشق: دار القلم.

ابن جني، ع. (1994). *المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها*. القاهرة: لجنة إحياء التراث.

حريكة، م. (2017). *لهجتنا السودانيّة ما بين الأصالة والعامّيّة*. (ط1.(

الحمد، م. (2005). *فقه اللُّغة مفهومه، موضوعاته، قضاياه*. (ط1). الرياض: دار ابن خزيمة للنشر والتوزيع.

الحموز، ع. (2008). *انزياح اللسان العربي الفصيح والمعنى*. الأردن: دار عمار للنشر والتوزيع.

أبو حيان، م. (2001). *تفسير البحر المحيط*. (ط1). لبنان: دار الكتب العلميّة

الخليل، أ. (1985). *الجمل في النحو*. (ط1). بيروت: مؤسسة الرسالة.

داؤد، س. (1976). *دراسة اللهجات العربيّة القديمة*. (ط1). لاهور – باكستان: المكتبة العلميّة وطبعتها، الكويت: مكتبة المنار الإسلاميّة.

الزجاج، إ. (1988). *معاني القرآن وإعرابه*. (ط1). بيروت: عالم الكتب.

السيوطي، ع. (2010). *همع الهوامع في شرح جمع الجوامع*. مصر: المكتبة التوفيقيّة.

الطالب، م. (2024). *الشخصيّة السودانيّة، دراسة أنثربولوجيّة نفسيّة*. (ط1). الخرطوم: دار عزة للنشر والتوزيع.

الطبري، م. (2001). تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن). (ط1). دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان.

عابدين، ع. (1989). *من أصول اللهجات العربيّة في السودان دراسة مقارنة في اللهجات العربيّة القديمة وآثارها في السودان*. الإسكندريّة: دار المعرفة الجامعيّة.

عبد الجليل، ع. (1997). *الدلالة الصوتيّة والصرفيّة في لهجة الإقليم الشمالي لمدينة البصرة*. (ط1). عمّان: دار صفاء

عبد الجليل، ع. (1998). *علم الصرف الصوتي*. عمّان.

على، ن. (2009). الإسقاطات النفسيّة لقضيّة الهويّة في الأحاجي الشعبيّة، احترام. *المجلة السودانيّة لثقافة حقوق الإنسان وقضايا التعدد الثقافي*، 11.

الفارسي، أ. (1984). *الحجة للقرّاء السبعة أئمة الأمصار بالحجاز والعراق والشام الذين ذكرهم أبو بكر بن مجاهد*. (ط1). دمشق: دار المأمون للتراث.

الفراء، ي. (2001). *معاني القرآن*. (ط1). مصر: دار المصريّة للتأليف والترجمة.

فندريس، ج. (2005). *اللُّغة*. مكتبة الأنجلو المصريّة.

قاسم، ع. (1989). *الإسلام والعربيّة في السودان دراسات في الحضارة واللغة*. (ط1). بيروت: دار الجيل، الخرطوم، دار المأمون المحدود.

قاسم، ع. (2002). *قاموس اللهجة العامّيّة في السودان*. (ط3). الخرطوم: الدار السودانيّة للكتب.

القوسي، ع. (2015). *لغات جنوب الجزيرة العربيّة*. الرياض: كتاب المجلة العربيّة.

القيسي، أ. (2017). *نظريّة الأفضليّة اللغويّة، دراسة معاصرة للشواهد القرآنيّة في معاني القرآن وإعرابه للزجاج*. (ط1). عمّان: دار الفكر.

الكوفي، ش. (2002). *البيان في شرح اللمع لابن جني*. (ط1). عَمّان: دار عمار.

مصطفى، إ. (1992). *إحياء النحو*. (ط2.(

المعشي، م. (2014). دراسة لغويّة في لهجة صلالة. *مجلة جامعة نزوى للدراسات الأدبيّة واللغويّة (الخليل)*، 1.

أبو منقة، أ.، وأبو بكر، ي. (2006). أوضاع اللغة في السودان. *جامعة الخرطوم، معهد الدراسات الأفريقيّة والآسيويّة، سلسلة الدراسات اللغويّة*، 10.
ابن منظور، م. (د.ت). *لسان العرب*. (ط1). بيروت: دار صادر.
النوبي، د. (2000). *الديوان*.
ابن هشام، ع. (1985). *مغني اللبيب عن كتب الأعاريب*. (ط6). دمشق: دار الفكر.
هلال، ع. (1993). *اللّهجات العربيّة نشأة وتطورا*. (ط2). القاهرة: مكتبة وهبة.
ابن يعيش، ي. (2001). شرح المفصل للزمخشري. (ط1). بيروت: دار الكتب العلميّة.
المو اقع الالكترونية:
يوتيوب، (2014/6/22)، حسام عبدان (https://www.youtube.com/watch?v=YuRChmEP2wQ).
يوتيوب، (2016/8/19)، نبراس عُمان (https://www.youtube.com/watch?v=wboAQ_aQjzc).
يوتيوب، (2016/11/24)، ابن جبران (https://www.youtube.com/watch?v=kNePc2KAxKw).
يوتيوب، (2017/2/1)، نبراس عُمان (https://www.youtube.com/watch?v=E2rGChsZgWU).
يوتيوب، (2019 /2/15)، ابن جبران (https://www.youtube.com/watch?v=hy8DalRglwc).

References

The Holy Quran
Al-Akhtal, G. (1994). *Al-Diwan*. (2nd ed.). Beirut: Dar Al-Kutub Al-Alamiya
Al-Ashmouni, A. (1998). *Al-Ashmouni's Explanation on Alfiyyaht Ibn Malik*. (1st ed.). Beirut: Dar Al-Kutub Al-Alamiya
Ibn al-Anbari ,A) .n.d .(*Asrar al-Arabiya* .Damascus
Anis ,E) .2002 .(*In Arabic Dialects* .Cairo :Anglo Egyptian Bookstore
Anis ,E) .n.d .(*Linguistic Sounds* .Cairo :Nahdit Misr Bookstore
Al-Bukhari ,M) .2008 .(*Al-Jami' Al-Sahih by Al-Bukhari from the narration of Abu Dhar Al-Harawi on the authority of his three sheikhs* .Al-Riyadh
Bergstrasser ,A) .1994 .(*The Grammatical Development of the Arabic Language*) .2nd ed .(.Cairo :Al-Khanji Bookstore
(Al-tom Al-Amin ,M) .2021 .(Ambassador Muawiyah Al-Tom Al-Amin Academy Lecture (Sudanese Identity
Al -Jahiz ,A) .1998 .(*Al-Bayan wal-Tabyin*) .7th ed .(.Cairo :Al -Khanji Bookstore
Ibn Jinni ,A) .1993 .(*The Secret of the Irabic Pronunciatio*n) .2nd ed .(.Damascus :Dar Al-Qalam
.Ibn Jinni ,A) .1994). *Al-Muhtasib in clarifying the aspects of abnormal readings and clarifying the*m
Cairo :Heritage Revival Committe
Al-hamad ,M) .2005 .(*FighulLugah :Its Concept ,Topics ,and Issues*) .1st ed .(.Riyadh :Dar Ibn Khuzaymah for Publishing and Distribution
Hirakah ,M) .2017 .(*Our Sudanese dialect between authenticity and colloquialism*) .1st ed(.
Al-humuz ,A) .2008 .(*The shift of the eloquent Arabic tongue and the meaning* .Jordan :Dar Ammar for Publishing and Distribution
Abu Hayyan ,M) .2001 .(*Tafsir al-Bahr al-Muhit*) .1st ed .(.Lebanon :Dar Al-Kutub Al-Alamiya
Al-khalil ,A) .1985 .(*Sentences in grammar*) .1st ed .(.Beirut :Al-Resala Foundation
Dawud ,S) .1976 .(*Study of Ancient Arabic Dialects*) .1st ed .(.Lahore – Pakistan :Scientific Bookstore and its Edition ,Kuwait : Al-Manar Islamic Bookstore
Al-zajjaj ,E) .1988 .(*Quranic Meanings and Pronunciation*) .1st ed .(.Beirut :Dar Alam al-Kutub
Al-suyuti ,A) .2010 .(*Huma al-Hawamah in the Commentary on Jum al-Jawamah* .Egypt :Al-Maktabah al-Tawfiqiyyah
Attalib ,M) .2024 .(*The Sudanese Personality ,A Psychological Anthropological Study*) .1st ed .(.Khartoum :Dar Azzah for Publishing and Distribution
Abdeen ,A) .1989 .(*The Origins of Arabic Dialects in Sudan A comparative study of ancient Arabic dialects and their effects in Sudan* .Alexandria :University Knowledge House
Abdul Jalil ,A) .1997 .(*Phonological and Morphological Connotation in the Dialect of the Northern Region of the City of Basra* .)1st ed .(.Amman :Dar Safaa

Abdul Jalil ,A) .1998 .(*Phonological Morphology* .Amman

Ali ,N) .2009 .(Psychological projections of the issue of identity in Popular Riddles in sudan ,Respect ,Sudanese .*Journal of Human Rights Culture and Multicultural Issues* ,11 ,1-22

Vendryes ,J) .2005 .(*The Language* .Anglo-Egyptian Bookstore

Al-Farsi ,A) .1984 .(*The argument for the seven reciters ,the imams of Hijaz ,Iraq and the Levant*) .1st ed .(.Damascus :Dar Al-Mamun for Heritage

Al-farra ,A) .2001 .(*The meanings of the Quran*) .1st ed .(.Egypt :Dar Al-Masria for Authoring and Translation

Qasim ,A) .1989 .(*Islam and Arabic in Sudan ,Studies in Civilization and Language*) .1st ed .(.Beirut :Dar Al-Jeel ,Khartoum , Dar Al-Maamun Limited

Qasim ,A) .2002 .(*Dictionary of the Colloquial Dialect in Sudan*) .3rd ed .(.Khartoum :Sudanese House of Books

Al-qawsi ,A) .2015 .(*Languages of Southern Arabia* .Riyad :Arabic Magazine Book

Al-qaisi ,A) .2017 .(*The optimality theory "OT*) ."1st ed .(.Amman :Dar Al-Fikr

Al-kufi ,Sh) .2002 .(*Al-Bayan in the Commentary on Al-Lamaa by Ibn Jinni*) .1st ed .(.Amman :Dar Ammar

Mustafa ,E) .1992 .(*Grammar Revival*) .2nd ed(.

Al-maashani ,M) .2014 .(A Linguistic Study in the Salalah Dialect .*Nizwa University Journal of Literary and Linguistic Studies (Akhalil ,(*1 ,13-50

Abu Manqah ,A., & Abu Bakir ,Y) .2006 .(Language Conditions in Sudan .*University of Khartoum ,Institute of African and Asian Studies ,Linguistic Studies Series* ,10

Ibn Manzur ,M) .n.d .(.*Lisan al-arab*) .1st ed .(.Beirut :Dar Sader

Al-nubi ,D) .2000 .(*Al-Diwan*

Ibn Hisham ,A) .1985 .(*Magni al-Labib on the Arabic books*) .6th ed .(.Damascus :Dar al-Fikr

Hilal ,A) .1993 .(*Arabic Dialects :Origins and Development*) .2nd ed .(.Cairo :Wahbah Bookstore

Ibn Yaaish ,Y) .2001 .(*Sharh al-Mufassal al-Zamakhshari*) .1st ed .(.Beirut :Dar al-Kutub al-Alamiya.

The Websites

YouTube) ,22/6/2014 ,(Husam Abadan) ,https://www.youtube.com/watch?v=YuRChmEP2wQ)YouTube) ,19/8/2016 ,(Nibras oman) ,https://www.youtube.com/watch?v=wboAQ_aQjzc)

YouTube) ,24/11/2016 ,(Ibn jubran) ,https://www.youtube.com/watch?v=kNePc2KAxKw)YouTube) ,1/2/2017 ,(Nibras oman ,)https://www.youtube.com/watch?v=E2rGChsZgWU)

YouTube) ,15/2/2019 ,(Ibn jubran) ,https://www.youtube.com/watch?v=hy8DalRglwc).